﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾ [الأعراف: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين دعوةِ هودٍ قومَه، وجوابِ الملأِ الكافرِ منهم بالرَّفْضِ والصُّدودِ

بعد ذكرِ إعلانِ دعوةِ هودٍ ﷺ لقومِه، أعقبهُ بذكرِ كيفيَّة تلقّيهم له، فلمّا "تشوَّفَ السّامع إلى جوابِهم بعد هذا التَّرغيبِ المزوجِ بالتَّرهيبِ، أجيبَ بقوله: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَفَاهَةٖ﴾: (سفه) أصلٌ يدلُّ على خِفَّةٍ وسخافةٍ، السَّفَهُ والسَّفاهة: نَقيضُ الحِلْم، منَ الخفَّةِ والحركةِ، والسَّفيه جاهلٌ، وأصلُه: خفَّة النَّسج في الثَّوب، يقال: ثوبٌ سفيهٌ، أي: خفيف النَّسج: والسَّفه - أيضًا - خفَّةُ البدنِ، وزمامٌ سفيهٌ: كثيرُ الاضطرابِ، واستعملَ في خفَّة النَّفس كنقصان العقلِ في الأمورِ الدُّنيويَّة والأخرويَّة[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ أي: في جهل[3].

2) ﴿لَنَظُنُّكَ﴾: الظاء والنّون أصلٌ يدلُّ على معنيَيْنِ مُختلفَين: يَقينٍ وشَكٍّ، الظَّنُّ شَكٌّ ويَقينٌ إلّا أنه لَيْسَ بيقينِ عيانٍ، إنَّما هوَ يقينُ تَدَبُّرٍ، فأمّا يَقينُ العيانِ؛ فلا يُقالُ فيهِ إلّا عَلِمَ، وهو اسمٌ لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت؛ أدَّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا؛ لم يتجاوز حدَّ التَّوهُّم، قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم﴾ [الحشر: 2]، أي: اعتقدوا اعتقادًا كانوا منه في حكمِ المتيقِّنينَ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/434.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (سفه).

(3) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 146.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (ظنّ، ظنن).

❁ المعنى الإجْماليُّ:

كُفرانُ قَومِ هودٍ، واتِّهامُ رسولِهم بالسَّفاهةِ والكذبِ عَلانيّةً

يخبر اللّهُ تعالى أنَّ الأشرافَ والكبراء من قوم هودٍ ﷺ قالوا له بعد إعلان دعوته لهم: "إنّا لنراكَ في خفَّة حلمٍ، وسخافةِ عقلٍ، حيثُ تهجر دينَ قومك إلى دينٍ آخرَ، وإنّا لنظنُّك - في كلامك وادِّعائك أنَّك رسولٌ من ربِّ العالمين - أنَّك أحدُ الكاذبينَ الَّذين يكذبونَ على اللّه في ادِّعائهم الرِّسالةَ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ فصْلِ جُملةِ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عمَّا قبْلَها:

المُحاوَراتُ في القرآنِ قائمةٌ على الارْتباطِ المَعْنَويِّ

الجملةُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ مستأنفةٌ، فُصلت عن سابقِها ولم تعطف[2]؛ لأنَّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ نشأ بعد دعوةِ هودٍ ﷺ لقومه؛ كأنه قيل: فماذا قالوا حينَ دعاهم؟ فقيلَ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾، ولم يحتجْ إلى عطفها بالفاءِ؛ لأنَّه لقوَّة الرَّبط بين الجملِ في المحاوراتِ، وبين السُّؤالِ والجوابِ.

فائِدةُ ذِكْرِ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

وصْفُ المَلأِ بالكُفر، يُشْعرُ بالتَّخصيصِ، وأنَّ منهم من آمنَ سِرًّا

ذهب بعضُ أئمَّةِ التَّفسيرِ إلى أنَّ إضافةَ القيدِ بالوصف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أفادَ التَّخصيصَ مع قومِ هودٍ ﷺ دون قوم نوحٍ ﷺ لأنَّ بعضَ قومِه قد آمنَ به، "فتقييدهُم بالوصفِ يدلُّ على أنَّه كان فيهم من اتَّبعه، بل وإن متَّبعه كان من أشرافِهم"[3]، ولم يرتضِ بعضُ أئمَّةِ التَّفسيرِ هذا التَّخريجَ لقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن

(1) الزحيلي، المنير: 8/263.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/238.

(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/435، وينظر: الزمخشري، الكشّاف: 2/116، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/238.

قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36] ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود: 40]، فهو وصفٌ جاء للبيانِ والكشف[1]، بقصدِ الذَّمِّ لعتوِّهم في الكُفر، والسّياقُ يُشعرُ بالتَّخصيصِ، وأنَّ بعضَ الملأِ كانوا مؤمنين، يكتمون إيمانَهم، كمؤمن آلِ فرعونَ، ففيه دعوةٌ لمشركي مكَّةَ ممَّن يميلُ إلى الإيمانِ مع ضعفٍ في المواجهةِ، أنْ: آمنوا إلى حينٍ.

فائِدةُ المؤكِّداتِ في الآية الكريمة:

تأكيدُ الافتراءِ على نُوحٍ، أمارةُ كَذِبِ الملأِ

في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ حكى عن قوَّةِ تأكيدِهم بوصفِهِ بالسَّفاهةِ والضَّلال؛ لأنَّ الواقعَ كان خلافَ ذلك، فكان لا بدَّ من تأكيدِ كلامِهم، فـ "أكَّدوا ما واجهوهُ به من الجفاء؛ لأنَّهم عالمون بأنَّ حالَهُ في علمِهِ وحكمِهِ يكذِّبُهم"[2].

لَطِيفةٌ في تَوجِيهِ فكِّ وإدغامِ (إنَّ)، بضَمِيرِ المتكلِّمين:

ثقةُ الإنسانِ بما يَجولُ في خاطِرِه، أوثقُ من حُكْمِهِ على الآخَرين

افتتحَ قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ بـ (إنَّ) الدّالَّة على التَّأكيد، وجاءت مدغمةً بضمير المتكلِّمين، بَيْنما افتُتح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢﴾ [هود: 62]، بها بفكِّ الإدغام، وما كان بفكِّ الإدغامِ؛ فهو أشدُّ تأكيدًا، وإنَّما كان تأكيدُ كونهم يشكّون أشدَّ من تأكيدِ كونهم يرونه في سفاهةٍ؛ لأنَّ السفاهة تتعلَّق بهِ، وأمّا الشَّكُّ؛ فيتعلَّقُ بهِم، والمرءُ بما فيه أوثقُ بما في غيرِهِ.

سِرُّ إيثارِ التَّعْبِيرِ بالرُّؤيةِ في السَّفاهةِ، والظَّنِّ في الكذِبِ:

ارتَبطتِ السَّفاهةُ بالرُّؤيةِ ليَقينهم بقِيلِهِم، بينما ارتَبطَ التَّكذيبُ بالظَّنِّ لِشَكِّهم بقَوْلِهم

عبَّر الملأُ الذين كفروا عن اتِّهامِ هودٍ عليه السلام بالسَّفاهةِ بفعلِ الرُّؤيةِ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾، وهي رؤيةٌ قلبيَّةٌ بمعنى: العلمِ، أي: إنّا لنعلمُ أنَّك في سفاهةٍ[3]؛ وذلك لأنَّهم رأوه يخالفُ آلهتهم وعقائدَهم، ويأمرُهم بصلةِ الأرحام، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وهذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/202، والسّمين الحلبيّ، الدر المصون: 5/359.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/434 - 435.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/202.

في زعمِهم سفاهةٌ، وهم على يقينٍ من ذلك، فجاء التَّعبيرُ بالرُّؤية، أمّا في نسبته إلى الكذب؛ فعبَّروا بالظَّنِّ دون الرُّؤية، فتوقَّفوا "في الجزم بالكذبِ، فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، أي: المتعمِّدين للكذبِ؛ وذلك لأنَّه كان عندهم عِلمٌ من الرُّسل، وما يأتي مخالفُهم من العذابِ من قصَّة نوحٍ ﷺ ولم يكن العهدُ بعيدًا"[1].

غَرَضُ المجازِ المُرْسَلِ في: ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾:

المبالغةُ في وصْفِ هُودٍ بالسَّفاهةِ، كأنَّها مُحيطةٌ به مُتَمكِّنَةٌ منه

وصفت عادٌ هودًا بكونهِ في سفاهةٍ في: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ ولم يقولوا: (سفيهًا)؛ فجعلوها كالظَّرفِ الَّذي يحتوي الشَّيء، فكأنَّ السَّفاهةَ محيطةٌ من جميعِ الجوانب، لا خلاصَ منها، فلذا أدَّت إلى قولٍ لا حقيقةَ له[2]، وفي ذلك مبالغةٌ في تمكُّن خفَّة العقلِ والرُّسوخ في السَّفاهة، بحيثُ لا ينفكُّ عنها[3]، فكون السَّفاهةِ ظرفًا يدلُّ على أنَّه محيطٌ به، قد استحوذَ عليه، والسَّفاهة على الحقيقةِ ليس ظرفًا؛ لأنَّه معنًى لا مكانَ، وإنَّما يحلُّ في مكانه، فاستعمالُ السَّفاهة مجازٌ مرسلٌ أُطلِقَ فيه الحالُ، وأريد المحلُّ، فعلاقتهُ الحاليَّةُ، وفائدتهُ: المبالغةُ في وصفه بالسَّفاهةِ وإيغالهِ فيها، ولو قالوا: (إنا لنراك سفيهًا)؛ لدلَّ على أنَّ السَّفاهة صفةٌ له، ويكون ذلك خاليًا من المبالغةِ الَّتي تدلُّ عليها الظَّرفيَّة.

تَوجِيهُ المتشابِهِ اللّفظي:

كلُّ وصْفٍ مُتَّسِقٌ مع سِياقِه، مُؤَدٍّ لدَلالتِه

وذلك بين: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ و﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، والفرقُ بين العبارتين أنَّ نوحًا ﷺ "لمّا خوَّفَ قومَه بالطّوفان، وطفقَ في عمل السَّفينةِ قال لهُ قومه عند ذلك: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ حيثُ تتعبُ في إصلاح سفينةٍ في أرضٍ ليس فيها من الماء شيءٌ، وأمّا

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/435، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 5/86.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/435.
(3) الزمخشري، الكشّاف: 2/116، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/86، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/238.

هود ﷺ؛ فإنَّه لمّا زيَّف عبادةَ الأصنام، ونسبَ من عبدها إلى السّفَهِ، وهو قلَّةُ العقل؛ قابلوهُ بمثلِه، فقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾»[1].

نُكتةُ جعْلِ هُودٍ ﷺ: ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

مـــن كـــذَّبَ رَســـولًا؛ فقد كذَّبَ جميعَهم، وحـاربَ الله في إرْسالِ رُسُلِه

وصفت عادٌ هودًا بكونِه واحدًا من الكاذبين؛ إذ قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ولم يقولوا: (كاذبًا)؛ لأنَّهم جعلوهُ واحدًا من فئةٍ مشهورةٍ بالكذب، وهذا أبلغُ من وصفِه بالكذبِ وحدَه[2]، "وفي قولهم هذا إيماءٌ إلى تكذيبهم كلَّ رسولٍ؛ إذ هم قد عبَّروا عن أصحابِ هذه الدَّعوى بالكاذبين، وجعلوهُ واحدًا منهم"[3]، فتكذيبُهم مستندٌ إلى تكذيبِ كلِّ الرُّسلِ، وهو تكذيبٌ صادرٌ عن إصرارٍ ورسوخٍ في الكفر، حيثُ جعلوا كلَّ من جاء مبلِّغًا عن اللهِ تعالى كاذبًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السّفاهةُ والجهلُ:

السَّفَهُ والسَّفاهةُ: نَقيضُ الحِلْم، من الخفَّةِ والحركةِ، والسَّفيهُ جاهلٌ، واستُعمل في خفَّةِ النَّفس كنقصانِ العقلِ في الأمورِ الدُّنيويَّة والأخرويَّة[4]، أمّا الجهلُ؛ فأصلهُ خلاف العلم والخفَّة. وهو على ثلاثة أضربٍ: الأوَّل: وهو خلوُّ النَّفس من العلم، هذا هو الأصلُ. والثّاني: اعتقادُ الشَّيء بخلافِ ما هو عليه. والثّالث: فعلُ الشَّيءِ بخلافِ ما حقُّه أن يفعلَ، كمن يتركُ الصَّلاة متعمِّدًا[5].

السَّفاهةُ: خَللٌ في الـسُّـلـوكِ، والجهلُ: نقصٌ في المَعْرِفةِ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، نسبوه إلى الاضطرابِ ونقصانِ العقل، ولم يريدوا أن ينسبوهُ للجهلِ؛ لأنَّ الجهلَ يتعلَّق بالمعرفةِ، وهم

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/216، وينظر: الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/300.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/393.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 8/193.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (سفه).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (جهل).

أرادوا أن يطعنوا في سلوكهِ لا في معرفتهِ، فما فعلهُ بزعمِهم من الدَّعوة إلى التَّوحيدِ هو نقصانٌ في العقلِ، لا ينمحي بالتَّعليم.

الظنُّ والحُسبانُ:

الظَّنُّ أدلُّ على اليقينِ والعلمِ من الحِسبان؛ لأنَّ "الظَّنَّ ضربٌ منَ الاعتقادِ، وقد يكون الحِسبانُ ليس باعتقادٍ؛ ألا ترى أنَّك تقولُ: أحسب أنَّ زيدًا قد مات، ولا يجوز أن تعتقدَ أنَّه مات مع علمك بأنَّه حيٌّ"[1]، والحِسْبان: أن يحكمَ لأحد النَّقيضين من غيرِ أن يخطر الآخر ببالهِ، ويكونُ بعرضِ أن يعتريه فيه شَكٌّ، والظَّنُّ أن يُخطِر النَّقيضين بباله، فيغلِّب أحدَهما على الآخر[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، أي: إنَّهم اعتقدوا اعتقادًا كانوا منه في حكم المتيقِّنينَ، فعبَّروا بالظَّنِّ؛ لأنَّه أدلُّ على اليقينِ من الحسبان.

الـظَّـنُّ: تَرجيحٌ يُشابِهُ اليقينَ، والـحُـسـبـانُ: تَرجيحٌ خالٍ عنِ الدَّليلِ واليقينِ

(1) العسكري، الفروق، ص: 99.

(2) الرّاغب، المفردات: (حسب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»